

- كتابُ: معالم النجاة -

أدينُ لكم بالحب نيابةً عن جفاء
الجميع - ♥

الكاتب والمُفكر: هشام بن
عباس العسيري -

همسة إلي اولئك الذين تحطمت
قلوبهم تحت مطارق الظروف
والحياة ...

ونزفت جراحهم من كثرة المعاناة
ولم يجدوا طريقاً للخروج من هذه
المأساة، إليكم ,, معالم النجاة ,,

الكاتب: هشام عباس

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه
 ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور
 أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده
 الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي
 له ، سبحانه

كل الأبواب مغلقةٌ إلا أبوابه، كل
 الأسباب منقطعةٌ إلا أسبابه ...

والصلاة والسلام على سيدنا وحبينا
محمد وبعد:

لما مَعَّنتَ النظر وقلَّبت الطرف في
أحوال المجتمعات، ونظرت إلي
أحوال الشباب، تألمت كل الألم،
وانتابني الشعور بالحسرة والأسف،
لأنني أدركُ تمام الإدراك، أن الشباب
هو مشروع الأمم، فمتي رأيت أمة لا
تستثمر في شبابها فأعلم أنها أمة
ساقطة، أو علي وشك الإنهيار
والضياع، ولم أدَرَ في الحقيقة، ما
سببُ هذا البؤس، ولم أعلم حقيقة
القصة، فهل الشبابُ هو الضحية؟ أم

المجتمع الضائع والشريحة الفاسدة
التي تحيط بنا، هي سبب ذلك الإنهيار
النفسي والمعنوي للشباب!؟

وأنا كمفكر إسلامي، أفكر بطريقة
إسلامية، لا بعاطفة الشارع ...

لذلك كتبت الكتاب بطريق العاطفة
الدينية، وحاولت جاهداً أن أُحرك ذلك
الجزء الديني الذي أخمله القارئ في
قلبه ونفسه، لتشرق فيه شمسُ البهجة
من جديد، ويرجع للحياة مرةً أُخري
...

للضائعين: إليكم الخارطة، معالم
النجاة من هنا ««

(الفصل الأول)

(أنت المشروع)

إنّ أعظم مشروع يتاجر فيه الإنسان
هو نفسه ، إن لم تنجح في الإستثمار
في نفسك فلا قيمة لنجاحك في أي

شيء ، فأنت اليوم ستكون حصاد
الأمس –

إن لم تتعب اليوم من أجل بناء
المشروع الذاتي لك، فإنك غداً ستكون
أضحوكة الناس علي قوارع الطرق

كما يقول ابن القيم رحمه الله: أجمع
العقلاء علي أن الراحة لا تدرك
بالراحة، وأن النعيم لا يُدرك بالنعيم –

أي أنك إذا أردت أن تكون ناجحاً فلا
تتوقف عن العمل، فإن النجاح يُنالُ
بالكفاح -

فإذا فهمت أنك المشروع، وأنت
القضية، وأنت الدولة التي بصفتك
الحاكم الوحيد لها، وجب عليك بناءها
بشكلٍ يليقُ بالسلطين الكبار، الذين
دونهم التاريخ في أوساط صفحاته -

فأستعن بالله ولا تعجز -

ينسب الغزالي في كتابه : نصيحة أيها
الولد لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه
قال: هذه الأجساد إما أن تكون اقفاصاً
للطيور العلوية، أو اصطبلاً
للحيوانات -

فإما أن تجعل من جسدك قفصاً
وروحك فيه كالطيور العلوية ذات
الهمة العالية، التي تطير بين عنان
السماء بعزٍ وشموخ -

وإما أن يكون جسدك كالزربية
 وروحك فيه كالحيوانات، التي تركض
 في الأوحال، وتأكل من المزابل ،
 فأختر لنفسك.

(فمنهم من قضي نحبه ومنهم من
 ينتظر)

كما أخبرتك في الفصل السابق أن
 القضية هي أنت، وأنت الحاكم الوحيد

لدولتك النفسية، ومن أعظم صفات
الحكام أنهم ذوي همّة عالية، وسياسةٍ
رشيدة -

والناس صنفان منهم من بدأ ببناء
دولته ومنهم من ينتظر، ومن بدأ ببناء
دولته يجب عليه أن يضع لها أسساً
وقوانينَ رشيدة ليضمن لها الإستمرار
والبقاء -

ومن ثمّ وقد علمت أنك الحاكم الوحيد
لدولة النفس وجب عليك أن تبدأ
بسياسة نفسك أولاً، لتتمكن بعدها من
سياسة الشعب، يقول قاضي القضاة

الماوردي في درر السلوك: من بدأ
بسياسة نفسه أدرك سياسة الناس -

والهمةُ العاليةُ مطلبٌ أساسيٌّ لبناء
الدولة يقول ابن الجوزي في صيد
الخطر: لو كان لأدمي بلوغ السماء
لقلت من النقائص بقاءه علي الأرض
-

أي إن كنت تستطيع العيش في جو
السماء فلماذا ترضي أن تعيش علي
الأرض أليس هذا من ضعف العزم
وعيوب النفس؟

يقول المتنبي: ولم أرَ في الناس عيباً
كنقص القادرين علي التمام -

عليك أن تطير بنفسك إلي فوق، فإذا
ما أراد الناس أن يشاهدوك عليهم أن
يرفعوا رؤوسهم وأبصارهم للسماء،
تأمل : أولم يروا إلي الطير فوقهم -

فأجعل روحك كالطيور العلوية ولا
تجعلها سفلية تحتية تأمل: فرددناه
أسفل سافلين - فأختر لنفسك.

(أسس دولتك علي الحب)

ليكن قانون دولتك الحب والأخلاق،
فإن الدول التي تُبنى علي الحب تبقى
راسخة لمئات السنين، وكذلك السيرة

-

فالكرهية سببٌ لهلاك البنية النفسية
والروحية للإنسان، فالأفاق تضيق
بالإنسان إذا عاش تحت لواء
الكرهية، أما الحب فإنه يسع الجميع -

يقول الشمس التبريزي: لا يوجد أسهل
من الكراهية، أما الحب فإنه يحتاج
إلى نفسٍ عظيمة -

فرد الإساءة بالإساءة هو أبسط
الأشياء، لكن العفو والمسامحة من
شيم الكبار ومن شيم المؤمنين قال الله:
ويشف صدور قومٍ مؤمنين * ويذهب
غيظ قلوبهم -

فالحبُّ أشبه ما يكونُ بجواز السفر
الذي تستطيع أن تدخل به أي مملكة
وأي دولةٍ وأي قلب -

فإذا أردت أن تسافر للقلوب عليك أن
تحمل الحب فإنه المفتاح للأرواح
التعيسة المغلقة -

ويجب أن يكون هذا الحب في الله ومن
أجل الله، لا من أجل المصالح
الشخصية أو استحسان الصور
الظاهرية -

فأقد أحببت زليخا يوسف عليه السلام
لصورته الظاهرية فخلق ذلك بداخلها
الشهوات النفسانية ، فكانت النتيجة :

ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن
 لم يفعل ما أمره لئسجنن وليكوناً من
 الصاغرين –

فتأمل كيف طغي الهوي علي عقلها ،
 وخرجت عن كبرياءها وملكها ،
 واعترفت علي أسماع العالمين بأنها
 دعتة للفاحشة وأنه إن لم يفعل لتؤذينه

فالحبُّ إن لم يكن في الله، يتحول إلي
 شُعبةٍ من شُعب الجنون، أهون مرقاةٍ
 فيه: وقطعن أيديهن –

(إِيَاكَ وَالْهَوِي)

والهوي: كل ما تهواه النفس وتشتهيه -
 لم يتنازع العقلاء في أن عاقبة الهوي
 وخيمة، ولقد ذمه الله في القرآن فقال:
 ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا
 وأتبع هواه وكان أمره فُرطاً -

ومعني فُرطاً يعني متشتت ليس له
 نظام أو ترتيب ، فالذي يُسلم نفسه

للهوي يعيش مشتتاً لا قرار له أو
استقرار -

والهوي أيضاً عبر الله عنه في القرآن
بالسقوط فقال: والنجم إذا هوي - أي
إذا سقط ، فالذي يتبع هواه يهوي
لأسفل دركات الإنحطاط -

وذكر ابن الجوزي في كتابه ذم الهوي
عن أهل العلم : أن الهوي من الهوان
يعني الذل ، وسئل بعضهم عن الهوي
فقال: هوانٌ سُرقَتْ نونه وأنشأ:

إن الهوي لهو الهوان قلب اسمه
فإذا هويت فقد لقيت هوانا

والنبي صلى الله عليه وسلم عده من
المهلكات فقال: ثلاثٌ مهلكات وذكر
منهم إتباع الهوي -

فيا أخي إذا أردت النجاة فعليك أن تتبع
الخارطة وأن تلزم معالم النجاة ،
وأعلم أن الهوي من أسباب الإنهيار
النفسي والمعنوي للإنسان ، ومن
أسباب سقوطه وضياعه -

فإذا أردت الإرتفاع ، وأن يطير
صيتك للأفاق ، وأن يبلغ نبأ طير انك
العالمين ، عليك أن لا تتجرف خلف
هواك كما قال الشافعي رحمه الله :
إذا حار أمرك في معنيين ولم تدر ما
الخطأ من الصواب

خالف هواك فإن الهوي ، يقود النفس
إلي ما يُعاب

فأقم لنفسك دولة ، يحكمها العقل لا
الهوي ، وأمن بذاتك , ولا يصدنك

عنها من لا يؤمن بها وأتبع هواه
فتردي -

أي وأتبع هواه فسقط وهلك -

(معزوفة الحزن)

في شعاب الحياة ستواجه الحزن ، فإما
أن ترقص عليه كأنه معزوفة ، وإما
أن يأكل قلبك -

عليك أن ترقص علي جراحك ، وأن
يُطربك صوت الألم الذي ينبعث من
قلبك ، وأن تبتسم للحياة ، وأن تعلم
أن الحزن باطنه الرحمة ، وظاهره
من قبلة العذاب -

فالحزن يعرفك علي اصدقاءك
الحقيقيين ، ويمحو ذلك البريق الزائف
الذي نلّمع به الأحبة والأصدقاء -

والحزن ما هو إلا ميزانٌ عادل ، يزن
بين كفتيه حجم الأشخاص في حياتنا

يقول ابن خلدون في مقدمته : الناسُ
 في السكينة سواء ، فإذا جاءت المحن
 تباينوا ، وكم من شدةٍ كشفت معادن
 أهلها ، إنّ الشدائد للورى غربالٌ .

والمعنى أنّ الناس في وقت الرخاء
 والفرح كلهم لطفاء ، فإذا جاءت
 المحن تباينوا يعنى اختلفوا وظهروا
 على حقيقتهم فكم من شدةٍ كشفت
 معادن أصحابها إنّ الشدائد للورى
 يعنى الناس غربالٌ تغربلهم . اهـ

وقد ورد في التوراة : إنّ الله إذا أحب
 عبداً جعل في قلبه نائحة - وهي المرأة

الباكية - وإذا أبغض عبداً جعل في
قلبه مزمارة -

فلولا ذلك الألم الذي مررت به لَمَا
عرفت الوجه الحقيقي لأحبتك
وأصدقائك

ولولا ذلك الحزن لما وصلت لهذه
الشخصية العظيمة ، والنسخة
العقلانية منك -

وبعض الضربات لا يقتلك لكنه يجعلك
تتحت الصخر بقلبك لا بأظفرك -

وبعض الخِذْلانِ ولادة جديدة لروح
 كانت ضعيفة هشة لا تعرف الحقيقة ،
 ولا تقدر علي المقاومة –

فأصنع من أحزانك الداخلية معزوفة
 وأرقص عليها وإذا سألك الناس قل:
 حفلة ميلادٍ جديد –
 (الضغوط)

لقد قرأت قانوناً فيزيائياً نصه : أن
 الضغط يولد الانفجار –

فهذا الانفجار يتولد نتيجة الضغط
 الفعلي للألات والأجهزة ، أما حالات
 الانفجار عند الإنسان فتحدث في
 الأغلب بسبب الضغوط النفسية
 والمعنوية التي يتعرض لها في حياته

وشكل الانفجار قد يتمثل في صورة
 الإنحراف ، فتجد الشخص بعدما كان
 هادئاً خلوقاً ، تحوله الضغوط إلي
 وحشٍ كاسر ، ومجرم محترف –

والضغوط النفسية عاملها الرئيسي هو
 الفراغ ، فأنت مضغوط لأنك تفكر ،
 وأنت تفكر لأنك فارغ –

لذلك القرآن أمر بالإنشغال عند الفراغ
فلقد قال الله لنبيه : فإذا فرغت فأنصب
- أي : إذا فرغت من أعمال الدنيا فلا
تفرغ ، ولكن أنصب أي : قم لعبادة
ربك -

وكان الآية تقول: فإذا فرغت فلا تفرغ
، فليس في الإسلام مجالٌ للفراغ -

وحل الدكتور أحمد خالد توفيق قضية
المشاكل النفسية فقال: لا تكن عاطلاً
لا تكن وحيداً .

(لا تسخط)

عدم الرضا عن النفس يسببُ للإنسان حرباً أهليّةً بداخله ، فكل تلك الصراعات النفسية ، والمعارك الداخلية ، سببها السخط والتذمر -

وأعلم أن القدر له خيطٌ رقيقٌ كالقشة
 ، يُنجي الله به الغرقى ، لكن أيُّ غرقى
 !

الغرقى الذين يستغيثون بغيره ؟ ولا
 يتوكلون عليه ؟ ولا يثقون به ؟ هؤلاء
 لا شك أنهم في لجة البحر غارقون –

إنما يُنجي الله الذين اتقوا ، والذين
 آمنوا به ووثقوا بقدرته على قلب
 الموازين وتغيير الأقدار –

قال تعالى: لتركبنّ طبقاً عن طبق -
أي: لتكونن في حالٍ بعد حال

فما من حبرة - أي سعادة - إلا
وتعقبها عبرة - يعني دمة - ، وما
من عسرٍ إلا خلفه فرج ، فإن مع
العسر يسرا -

والدنيا لا تدوم علي وتيرةٍ واحدة بل
شدةٌ وفرجٌ ، والعكس بالعكس

يقول ابن الجوزي رحمه الله:
سنيُّ الجهد إن طالت ستطوي

لها أمدٌ وللأمدِ إنقضاءُ

لنا بالله آمالٌ وسلوي
وعند الله ما خاب الرجاءُ

إذا اشتدت رياح اليأس فينا
سيعقبُ ضيقُ شدتها الرخاءُ

فبعد العتمةِ الظلماءِ نور
وطول الليل يعقبه الضياءُ

أمانينا لها ربُّ كريم

إذا أعطي سيد هشنا العطاء

والمعني: أن سنين التعب مهما طالت
لا بد وأن تُطوي كما تطوي صفحة
الكتاب ، فلا تياس وثق بالله –

وورد في الصحيح : أنا عند ظن
عبدي بي - وفي رواية الإحياء :
فليظن بي ما يشاء -

وروي ابن ابي عاصم في السنة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال:

ضحك ربنا من قنوط عباده، وقرب
غيره -

أي يضحك الله من يأس العبد من
البلاء والمرض مع أن الفرج وتغيير
البلاء قد اقترب -

فقال أبو رزين رضي الله عنه متعجباً:
ويضحك ربنا؟ فقال النبي صلى الله
عليه وسلم: نعم، فقال أبو رزين: لن
نعدم خيراً من رب يضحك -

أي لن نمنع أو نعدم الخير من ربِّ بلغ
من جمال لطفه ورحمته أنه يضحك ،
فكيف نعدم خيره ، فأحسنوا الظن بالله.

(أنت المصححة)

أنت المصححةُ النفسيةُ لنفسك ، وأنت
الخطوة الأولى التي تنهزم دائماً قبل
البدء بها –

العالم أمامك ولقد شاهدت الخذلان
بعينيك ، خذلان الأهل والأصدقاء
والمجتمع ، حتي الحب خذلك أيضاً –

فلماذا تقف علي قارعة الطريق حائراً
؟ هل استطلت الطريق قبل البداية ؟ أم
تهت في صحراء أحلامك ؟

لقد أكلت التخاريف عقلك ، ولو أنك
 نظرت للأمور بعين الحقيقة ، لما
 تألمت هكذا !

والحقيقة أن الحياة مزبلة كما وصفها
 النبي صلى الله عليه وسلم ، وتارةً
 يصفها بشاةٍ ميتةٍ ، فهي مزبلةٌ وجيفةٌ -
 فلقد ورد عند ابن أبي الدنيا في ذم
 الدنيا: أن النبي صلى الله عليه وسلم
 مر علي مزبلةٍ فقال لأصحابه هلموا
 إلي الدنيا -

أي تعالوا لتشهدوا الدنيا ، فأخذ من
 عليها عظاماً نخرت - نخرها الدود -
 وخرقاً بليت - أي قطع قماشٍ متهاكّة
 ثم قال هذه الدنيا -

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه
 وسلم: أنه رأى شاةً ميتة فقال: الدنيا
 أهون عند الله من هذه الشاة -

وروي الإمام أحمد في كتابه الزهد :
 أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه مر هو وأصحابه علي مزبلةٍ
 فأحتبس عندها - يعني أطال الوقوف
 - حتي تأذي أصحابه من رائحة

المزبلة ، فنظر إليهم سيدنا عمر وقال
: هذه دنياكم التي تحرصون عليها -
أي عبارة عن مزبلة -

فإذا عرفت حقيقتها ، وفطنت مكرها
سلمت من الركض فيها ، وتفرغت
للحياة الحقيقية -

فالدنيا رحلةٌ عابرةٌ منقضية ، فإذا
عرفت ذلك ، بدأت بالعلاج منها -

والخلاصة : أنك العلاج لنفسك ، فلا
تتوهم المرض .

(حرر نفسك)

اعلم أن السجن أنواع أعظمها سجن
النفس داخل فكرة أو فترة زمنية أو
شخص ، فما أصعب أن تعيش رهيناً
لشخصٍ وأن يكون عقلك وفكرك
سجينه ، أو أن تكون محبوساً في فترةٍ
قد مرت عليك كالإعصار فدمرتك –

والأعظم من ذلك كله سجن العقل ، أن
يُسجن عقلك مع شريحةٍ جاهلة قليلة
الوعي ، من الأصدقاء أو الأهل ،

فيتسرطن العقل برواسب العادات والأعراف ، فتظل تكابد وتعاني من قلة الإدراك حتي تموت قهراً ، وهذا من أعظم الشقاء -

روى قاضى القضاة الإمام الماوردي فى كتابه آداب الدين والدنيا : أن الفرس- أيران حالياً - إذا غضبوا على عاقل - أى على شخص عاقل - حبسوه مع جاهل

وأقولُ : لأنهم أدركوا أن من أشد أنواع التعذيب مخالطة العاقل للجاهل الأحمق ، فاختلف الفكر سجن²⁸ وغربة -

فالمطلوب منك أن تحرر عقلك من تلك الرواسب ، ولا تستسلم للعادات الرجعية ، وأن يكون مرجعيتك الوحيدة هو الدين –

فليكن الكتاب والسنة ميزانٌ عادلاً في حياتك تزن به الأمور ، فما وافق من أفكارك نظام السماء فطبقه ولو تلاطمت أمواج البحار بين عينيك –

وما كان يخالف الدين فأعلم أنه لا خير فيه ، وأن السلام النفسي والعقلي للإنسان يتحقق عند تطبيق أوامر الله .

(ألة النفس)

لو أنك ذهبت لشراء الة جديدة أو جهاز ما ، لا بد وأن تجد معه كُتيباً صغيراً فيه بعض الإرشادات ، وبيان أن هذه الألة تعمل بنظام معين إذا خرجت عنه تتعطل -

ثم يذكر لك بعض الأسباب التي تسبب في شتات تلك الألة وتوقفها

والله تبارك وتعالى عندما خلق الإنسان وأحسن صنعه ، خلق له كتاباً فيه التعاليم والإرشادات التي إن صار عليها يضمن له حياة سعيدة خالية من الأعطال والمشاكل ، وأخبره أن الذنوب تُسببُ للإنسان أمراضاً نفسية ومشاكلُ مادية واجتماعية

قال تعالى: وأن لو استقاموا علي الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقا - أي لو ألتزم الإنسان بتعاليم السماء لنفعه الله نفعاً كثيراً وبسط له الرزق -

وقال تعالى: ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً - أي : يجعل له أملاً وفرجاً يخرج به من ضيقه وأحزانه ومشاكله ثم أنه سبحانه وضع للإنسان معادلة واضحة ، فإن التزم بتلك المعادلة نجا وإن أخل بها هلك ، قال تعالى: ومن أتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكا - أي كئيبة مؤلمة

والذنوب لها تأثيراتٌ بعيدة المدى فلربما يُعاقبُ الشيخ في حال كبره لذنوبٍ قد أقترفها في شبابه

يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر:
وقد يُهان الشيخ في كبره حتي ترحمه
القلوب، وهو لا يدري أن ذلك بسبب
إهماله حق الله في شبابه -

فالذنوب أشبه ما تكون بشبكة الصيد
المعقدة التي تُقيد الإنسان وتُغرقه في
بحارٍ وبحارٍ من الشقاء والألم

ولقد ضرب الله مثلاً للإنسان المنهمك
في شهواته وطغيانه ثم تاب الله عليه
وطرح كل ذلك خلف ظهره فقال
تعالى: أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا
له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله
في الظلمات ليس بخارج منها -

أي هل يستوي من كان ميتاً بذنوبه
مستسلماً لرغباته ليس له قرار ولا
يستطيع الفرار من ذل المعاصي
والأوزار ثم أحياه الله بالتوبة وجعل له
نوراً يمشي به بين الناس

هل يستوي هو والإنسان الغارق وسط
رغباته وشهواته ؟ لا يستويان مثلاً ،
فالذنوب أشبه ما تكون بالموت ،
والتوبة حياة

فجدد حياتك وكن شجاعاً وضع خطأ
علي صفحات الماضي ، وأشطب
علي علاقاتك المحرمة ، وأفتح صفحة

جديدة بدايتها : إني ذاهبٌ إلي ربي
سيهدين -

(السَّمُ المعسول)

بينما أنت تتلاطم في أمواج الحياة
سيأتي أحدهم ليُلقي لك صنارته
ويضع لك فيها سُمًا ممزوجاً بالعسل

في البداية ستظن أنه يريد إنقاذك من
الغرق ، وأنه جبل النجاة السماوي
الذي أرسله الله لك ، وإذا بك تكتشف

أنه يصطادك لتكون من ضمن
ضحايه

نعم سيكون أحدهم بمثابة الشرارة
الأولي التي ستحرق قلبك ، وتتركك
مشوهاً من الداخل ، وكل هذا باسم
الحب ، ستعيش بعده سنواتٍ طوال لا
تدري كيف تُحب ، باختصار : سيفسد
صلاحية الحب بقلبك –

لذلك أقولها لك يا صديقي : إياك أن
تقع في هذه الشبكة المعقدة ، وأن تميل
مع ذلك التيار الجارف

عليك أن تُحلق منفرداً في سماء
الوحدة وأن لا تتضمن أبداً لذلك السرب

فالحب مهزلةٌ ومهانةٌ بينما أنت تغرد
كالعصافير وحدك يأتي الحب ليُخرسَ
ذلك الصوت الموسيقيّ السعيدُ بداخلك
وأكاد أقسم أن هذه العلاقات ما هي إلا
عبارةٌ عن مسلسلٍ تركيٍ سخيّف ،
فلقد حصر الجميع كلمة حبٍ في
مكالمة هاتفٍ جوال ، أو رسالة عبر
البرامج ، والحبُ أعمق من ذلك

الحب تضحية ، فما الفائدة أن أقدم
روحي قرباناً لعيناك ، بينما أنت لا
تسمح بخدش أصبعك !! هل هذا هو
الحب ؟

عندما تشعر أنك تبذل عمرك في سبيل
شخصٍ لا يُضحى بدقيقة من وقته
لأجلك ، عليك أن تتسحب

نعم أنسحب ولا تكن مغفلاً ، لأنهم
سيلعبون علي أوتار العاطفة لديك ،
وسيجبكون المشهد بقليلٍ من الدموع
المزيفة ، والإستعطافات الكاذبة ،
حتى ترق ثم تتعود ثم تتعلق ، وبعدها
سوف تهوي من مكانٍ سحيق ،

وتتلقفك طيور الخذلان الجارحة لتأكل
أثمن ما لديك ,, قلبك ,,

قال ابن القيم في روضة المحبين ،
وابن الجوزي في ذم الهوي : أن
الحب : حركة نفسٍ فارغة ، وقيل :
حركة قلبٍ فارغ ، ولا يقع فيه إلا
الغافلين عن تأمل الحقائق –

فالحبُّ يحتاج للفارغين ، لذلك قل ما
تجد شخصاً مرتبطاً بقضيةٍ ثم يكون
واقعاً في شباك الحب ، فضلاً عن أن
يكون هدفه إبرام العلاقات مع
الآخرين -

فالحب اليوم مهزلة ، عليك أن تنسحب
، وأنا لا أقصد أن يُهمل القارئ ذلك
الجانب تماماً ، لكن أقول لا تجعله
قضيتك الأولى .

(فلسفة الوحدة)

عندما تشعر أنك محببٌ تماماً ، وقد
قدمت جميع الحلول لتأنس بمخالطة
من تحب لكنهم يرفضونك –

عندما يذوبُ قلبك كفص الملح ، وأنت
تنظر لتلك السنوات الضائعات في
سبيل الشيطان الرجيم –

عندما يمطر قلبك الغائم بالحب علي
كل من حولك ثم تجدهم يحملون
المظلات ، عليك حينها أن تجرب
نوفاً جديداً من الفلسفة ، فلسفة الوحدة

فالوحدة أشرفُ من البقاء في آخر
الصفوف ، الوحدة أشرف من مقاعد
الإحتياط ، الوحدةُ أشرف ألف مرة
من مخالطة المزيفين -

ساعةٌ من الوحدة كفيّلة أن تُعيد لك
ذلك الجزء المفقود منك ، وأن ترمم
ذلك البناء المكسور بقلبك -

يقول الشبلي الصوفي: إلزم الوحدة،
وأَمْحُ أَسْمَكَ عَنِ الْقَوْمِ ، واستقبل
الجدار حتي تموت -

هكذا أنا , إن لاحظت أنك رقمتي في قائمتك أبادر بحذف نفسي تماماً ، إن لم أكن الديوان بأكمله ، فلا حاجة لي بأن تجعلني قصيدة من بعض قصائدك -

فالوحدةُ تخلقك من جديد ، وتبعثُ عقلك من مرقده ، وتُعرفك حقيقة الأشخاص من حولك ، ومدى الاهتمامات التي ستحظى بها إن فُقدت -

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها وأعتبرها من معالم النجاة ، فعن عقبة بن عامر قال قلتُ يا رسول الله ما

النجاة ؟ فقال: أملك عليك لسانك ،
 وليس لك بيتك ، وأبكِ علي خطيئتك –
 ففي قوله: وليس لك بيتك إشارة إلي
 العزلة –

وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه: أعتزل ما يؤذيك -
 أعتزل ذلك الشخص الذي يقلل من
 شأنك ، وذلك الذي يتعالى عليك ،
 وذلك الذي لا تقبله روحك ، أعتزل
 كل ما يؤذيك نفسياً أو بدنياً أو مادياً أو
 حتي إجتماعياً –

فالعزلةُ أفضل من مخالطة أرباب
السوء ، والطبع لص ، يسرقُ من
طباع الناس وصفاتهم السيئة ،
فأعترل وكن لنفسك موطنًا.

(الغفلة)

قال تعالى: ولا تقتلوا أنفسكم إن الله
كان بكم رحيمًا - النساء
يقول الفضيل بن عياض رحمه الله:
أي لا تغفلوا عن أنفسكم فمن غفل عن
نفسه فقد قتلها

فالعفلة تقتل الإنسان ، والقتل أنواع :
 أعظمها أن يغفل الإنسان عن عمره ثم
 يجد نفسه في ظلمة القبر ، وإذا به لا
 صدق ولا صلي * ولكن كذب وتولي
 ، ثم يدخل النار ' فأَي قتلٍ أعظم من
 النار ؟

يقول ابن القيم في الفوائد : الذنوب
 جراحات فأحذر لربما وقع جرحٌ في
 مقتل -

فإن الإنسان قد يغفل عن قلبه حتي
 تصتاده شباك الهوي ، فيتعلق بالهوي
 فيقتله -

وإن الإنسان قد يغفل عن عقله فيعجج
 بالتفاهات ، ويمتلئ بالسواقط
 والعاهات حتي يجره عقله نحو
 المهالك فيقتله -

وقد سُمي العقل عقلاً لأنه يعقل
 الإنسان عن المهالك ، أي يربطه
 ويُقيده كما تُعقل الناقة ، يعني تُربط -

لذلك يُقال: إذا عقلك عقلك عما لا
 ينبغي فأنت عاقل - إي إذا قيدك عقلك
 عما لا يصح فأنت عاقل -

يحكي أن الأصمعيّ رأى غلاماً من
عرب البادية فقال له الأصمعيّ: أتحبُّ
أن تكون أحمقاً ولك مائة ألفِ درهمٍ؟
فقال الغلام: لا ، فقال الأصمعيّ لِمَا؟
فقال: أخافُ أن تجني عليّ حماقتي
فأفعلُ شيئاً يذهبُ بمالي وتبقي لي
حماقتي -

فتأمل العقلُ زينةً ، وقيل أنه نور يقذفه
الله في العبد - فحريٌّ لمن كان به
بصيصٌ من نور العقل أن لا يغفل عن
نفسه ولا عن قلبه ولا عن عقله.

(لها)

ربما يندهش البعضُ من ذلك العنوان
الساذج ، ويراه مخالفاً لعنوان الكتاب
ومضمونه -

لكنني أكتبُ لها ، فهي من دفعني
بشراهةٍ لكتابة هذه الأسفار ، هي من
خلخل بداخلي ذلك البناء الشامخ من

السعادة حتي جعلته يهوي ليصير دكاً
دكا -

أنا لستُ حزيناً لكنني مندهش ، لقد
كنتُ مغفلاً ، لم أستطع أن أرجم ذلك
الشيطان الذي بداخلها ، لقد ألهمت
أصنام الكبرياء فيها ، حتي صبت
عليّ لعنات العاطفة المشؤومة ،
وتراكم بداخلي الحنين ، ثم لم ترحم
ضعفي وسحقتني تحت أطراف
رمشها الكحيل -

لذلك أكتبُ لها ، لتعلم أنني رمتُ ذلك
القلب المتهاك ، وغسلتُ روحي من
أثار الألم ، فأنا المصححة النفسية
لنفسي ، وأنا الشفاء

لذلك أنصح القارئ بدافع التجربة ، أن لا يكون قطعة شِطرنج تُحركها العاطفة المشؤومة ، إياك أن تنجر خلف اللفة الحمقاء فتدفعك النزوة للتساقط

الكبار لا يسقطون "
(معركة الليل)

في الليل ستواجه أضعف نسخة منك ، ستحنُّ فيه لذلك الجب البائس الذي رماك فيه من تُحب ، ستحن للحديث مع أشخاصٍ هدموا جدار روحك مراتٍ كثيرة ، ومروا فوق قلبك البريء كشاحنة محملةٍ بالألم

لكن لماذا تحن لهم ؟ لقد كانوا
متطرفين قلبياً ، خالياً قلبهم متعفنة
بالخيانة ، عندما علموا أن فيك من
عفو يوسف رموك في البئر كثيراً

أنت الآن في معركة الليل !! فإما أن
تسحق روحك تماماً ، وتقطع قلبك
بسكاكين المجاهدة ، وتكسر صنم
الهوي بداخلك ، وإما أن تخسر
المعركة -

ثم كيف لك أن تحن لهم ؟ هَلَّا نظرت
إلي أيديهم الملطخة بدماء قلبك أولاً ،
لقد مزقوك تماماً ،

لذلك وجب عليك بدافع الكرامة أن
تتخلص من تلك الرواسب العالقة
بشريان قلبك

(ليل المحبين)

أخبرتكَ أن الليل معركة وحذرتكَ أن
تنهزم فيها ، فليل الوحدةِ قاسٍ وليلُ
الشهوةِ أقسى -

لكن ليل المحبين رطب ...

يقول ابن القيم رحمه الله : إقبال الليل
 عند المحبين كقميص يوسف في
 أجفان يعقوب -

يقصد أن المحبين ينتظرون الليل بلهفة
 ، كما كانت تنتظر أجفان يعقوب
 قميص يوسف -

والمُحِبَّ الصادق يستشعرُ دقائق قلبِ
 حبيبه بل ونسماتِ الهواء التي تُحيطُ
 به ، لما جاء يهوذا ابن يعقوب عليه
 السلام بقميص يوسف لأبيه يعقوب
 سبقه ريح القميص إليه فقال إني لأجد
 ريح يوسف " هكذا الحب

أما الشهوانيين فقطعن أيديهن بسكاكين
الشهوة –

وأعظم أضراب المحبة وأصدقها
التعلق بالله ، ومراقبة ستائر الليل
للقيام بين يديه

فالناس في الليل صنفان: صنفٌ
تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون
ربهم خوفاً وطمعا

وصِنْفٌ يتقلبون في نوم الغفلة ، أو
يحترقون بنار الشهوة ، فكن محباً تجد
الليل غرامياً

واستأنس بالله وأستر قلبك به ، فإن لم
تستر قلبك بالله ستبقي مفضوحاً ،
وستغرقُ في ظلماتٍ بعضها فوق
بعض -

إن لم تملأ فراغات قلبك بالله ،
تستوحش ، فكن محباً لله حتي تأنس به

(الختام)

لست ممن يقدم النصائح ، فكيف
 ينصحك من خان نفسه ؟ وإنما أكتب
 لك هذه الكلمات بدافع التجربة البائسة
 التي عشتها

هذه السنوات كانت بمثابة نوبة حزن
 كبيرة تسالت إلي خلايا قلبي حتي
 تعفن

تجرعت فيها كاساتٍ من الألم ،
 تعلمت فيها الحب والفراق ، تعلمت
 كيف أدفن حنيني حياً ، وأن الحنين
 لمن لا يستحقون ظلم للنفس

واجهت جيشاً من الصعاب ، التخلف
والهمجية والخذلان

ورطت قلبي في الهوي حتي هوي ثم
رجعت بخُفي حُنين ألعق جراحي

وختام ما أعطيك إياه : حاول أن تكون
أنت ، لا تحاول أن تصطنع شخصاً
غيرك أو نسخةٍ دراميةٍ وهميةٍ

عليك أن تتقبل ذاتك ، وتصلح قلبك
وعقلك ولا تُعطي أثمن ما لديك لمن لا
يستحقون ، والسلام.

- ق . ش هشام عباس 

